

الأخبار الباهرة
في أمور الآخرة
تصنيف طه محمد الخير

الأُخبار الباهرَة في أُمور الآخرَة

تصنيف

طه محمد الخير

اطلع على المادة الدينية

أمين عام دار الفتوى في أستراليا سماحة الدكتور الشيخ سليم علوان الحسيني

إمام وخطيب مساجد سلطنة عمّان والمجاز برواية الأحاديث النبوية الشريفة سماحة الشيخ هيثم البلوشي

قدّم لهُ و راجَعَ موادهُ مدير الفرع العالمي لجامعة مدينة العِلم في باكستان، الدكتور مجدي غسّان معروف، دكتوراه في اللغة العربية و آدابها و دكتوراه في علم الحديث الشريف

استعد لسفرك، وحَصِّل زادك قبل حلول أجلك، قبل النداء للرحيل، فالإنسانُ في صراع مع الدنيا ومن تغلبُهُ الدنيا يخسر الدنيا والآخرة، والمؤمن في غيبوبة حتى إذا حضر الموت فَطِن لحقيقة الآخرة. وتنبيها للمؤمن، جاء هذا الكتاب من تصنيف راجي رحمة ربه طه محمد الخير الذي يصبو من خلال هذا الكتاب إلى التذكير بأحوال الناس في الآخرة، والهدف إفادة المسلمين بهذه الموعظة وليُذكّر الناس بنقلتهم وسباتهم، لأنهم سيسافرون سفرًا بعيدًا وطويلا ، والكثير لم يحمل زادًا لهذه الرحلة الشاقة، والناس اليوم بل وفي كل يوم بأمسِّ الحاجة إلى الموعظة ومنها موعظة الموت وما يتبعه، ومما تناوله المصنف في هذا الإطار المسائل التالية: خروج الناس من قبورهم و بعثهم وحشرهم والعرض على ربّهم والحساب وتسليم صحائف الأعمال والصراط وقصص النار والجنة.

المقدمة

الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلماتِ والنور، وأوجدَ النوع الإنساني ولم يَكُن شيئا، وأجرى عليه تصاريفَ القضاءِ والمقدور، وامتحنَهُ في هذه الدار بأنواع المِحَنِ والكُدور، ثم نَقله إلى دارِ البرزخ مودعًا روحه في المستودع، وجسده في القبور، ثم يعيده يوم البعث والنشور، ويحاسبه على النقير والقطمير، فَمِن فائزٍ ظفرَ بالسرور، وخاسرٍ ينادي بالويل والثبور.

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، لا ضِدّ ولا نِدّ ولا شبيه ولا مثيل له، وأن محمدًا عبده ونبيه ورسوله وحبيبه، صاحب المقام المحمود واللواء المنشور، صلى اللّه عليه وعلى كل رسول أرسله، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم يُبعَثُ مَن في القبور وبعد،

فهذا مختصرٌ جامِعٌ ومستوعِبٌ لأحوالِ النشرِ والبعثِ والحشرِ وأهوالِ الموقِفِ والميزانِ والعرضِ، والحسابِ والقصاص والصراط، وصِفة جهنم والجنة. أسميته:

الأخبار الباهرة في أمور الآخرة

جعله اللّه تعالى خالصًا لوجهه، سَببًا للفوز لديه، نافعًا لجامِعه ومُحَصِّله يوم العرضِ بين يديهِ بمنِّه وكرمِه وهو حسبُنا ونِعمَ الوكيل ونِعمَ المُعين.

أنت وعشـيرتك ومَن تُحِب ومن لا تـُحب، وعائلتك كبيرها وصغيرها، وأصدقاؤك وأعداؤك، ومشـايخك وأسـاتذتك، وكل مَعارفك، بل كل البَشـر على أرضٍ واحدة .. أرضِ المحشرَ .. هو يومٍ طويل، يوم الحسـرة، يوم الوعيد والجزاء والندامة.

يوم تـُبلى السـرائر فلا تبقى المُخبَّآة مُخبَّآة، يوم لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا، فكلُ نفسٍ بما كـَسـَبَت رهينة،

يوم يُدَعَّون إلى النار دَعّا، يُدفعون إلى جهنم ويُسـحَبون فيها على وجوههم،

يوم التقليب والتحوّل، يوم تُقـَلـَّـب فيهِ قلوب الكفار وتُنتزَع من أماكنها إلى الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج.

يوم الشـخوص، فلا تغمض العين للحظةٍ من هولِ ما ترى في ذلك اليوم.

يوم الفرار، فيَفر كلّ واحد من صاحبه حذرًا من مطالبته إياه.

الواقعة، الخافضة، الرافعة، الطامّة، الصاخّة، الزلزلة، يوم المصير والفصل، يوم الوعد والوعيد والصدع والانشـقاق والانفطار والتكوير و الانكدار و الانتشـار والفزع، هو يوم والله لقريب

هي الحاقـّة، يوم لا ريب ولا شك فيه.

نُفِخ في الصور .. خرجتَ من قبرك .. اقتادوكَ إلى أرض المحشر .. بدأت الحكاية

البعث

إن الذين يغرقون في البحر فتقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام تلوح، فتلقيها الأمواج على البر، فتمكثُ العظامُ حينًا حتى تصير حائلة نخرة، فتمرُّ بها الإبلُ فتأكلها حتى تسير الإبل فتبعرها، ثم يجيء بعدهم قوم فينزلون منزلاً فيأخذونَ ذلك البعر فَيُوقِدُونَه ثم تخمُد تلك النار، فتجيءُ الريح فتُلقي ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءَت النفخة .. أخرَجَت اولئكَ وأهل القبور سَواء ..

"يا أيتها العظام النخرة والجلود المتمزّقة والأشعار المنقطعة إن اللّه تبارك وتعالى يأمرك أن تجتمعي لفصلِ الحساب[١]"

مَلكٌ قائم، ينادي، وكأنه يُنادي في أذنك فيقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المقطّعة، ويا عظامًا نخرة، ويا أكفانًا فانية، ويا قلوبًا خاوية، ويا أبدانًا فاسدة، ويا عيونًا سائلة، قوموا لعرض رب العالمين[٢].

---

[١] نقله الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير المأثور، المجلد السابع وقال ما نصه:
وأخرج ابن جرير عن كعب في قوله {واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب} قال: ملك قائم على صخرة بيت القدس ينادي يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء

[٢] معتقَدُ أهلِ الحقِّ على وفقِ الآيةِ (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) سورةَ الرومِ ٢٧، وبعضُ الفرقِ الضالّةِ مِن قلّةِ يقينِها قالت إنّ المعدومَ لا يُعادُ، فخالفوا القرءانَ وضلّوا ضلالاً بعيدًا، وقد أشارَ المؤلفُ هنا إلى البعثِ وإن عُدِمت أجزاءُ المرءِ، بِمَعْنَى إِعَادَةِ الْجَسَدِ بَعْدَ جَمْعِ ما تَفَرَّقَ مِنْ أَجْزَائِهِ، وَهِيَ خِلافِيَّةٌ بينَهُم وما ذهب إليهِ هٰذا البعضُ خِلافُ الْجُمْهُورِ، فبَعْضُ أهلِ السنةِ فَسَّرَ الإعادَةَ بِأنهَّا جَمْعُ الأجزاءِ التي عُدِمَتْ بِمَعْنَى أَنَّها هَلَكَتْ وزَالَتْ ولو كانَ زَوَالُها باسْتِحالَتِها إلى مادَّةٍ أخرى، فَلَو أنَّ إنسانًا أُحْرِقَ وَذُرَّ رَمَادُهُ في الرِّيحِ، فاللهُ يعلَمُ هٰذِهِ الأجزاءَ أينَ هيَ وإلى ما صارتْ إليهِ فيأمُرُها فتَجْتَمِعُ، والْمُؤَيَّدُ بالنُّصُوصِ هو القولُ الأَوَّلُ في الشَّرْحِ أَنَّهُ يُعَادُ وإنِ انْعَدَمَ، فَكَمَا صحَّ الابْتِدَاءُ الأَوَّلُ يَصِحُّ الثاني، لأَنَّ الإعادَةَ ابْتِدَاءٌ ثانٍ، وهو الْحقُّ لأدِلَّةٍ كثيرَةٍ مِنْها قولُهُ تعالى: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) الأعراف:٢٩، فَإِنَّهُ مُطْلَقٌ في الإعادَةِ، والآيَةُ مُصَدَّرَةٌ بِحَرْفِ الْكَافِ وهو لِلتَّشْبِيهِ بِمَعْنَى الْمِثْلِ، وإعادَتُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ حَقٌّ مَقْدُورٌ عليها للهِ عزَّ وجَلَّ، وكذا إنْ أكلَتْهُ السِّبَاعُ أوِ احتَرَقَّ كُلُّهُ وَذُرَّ في الرِّيحِ، وكذا إنْ أَكَلَهُ إنسانٌ ءاخر، اللهُ تعالى يُعِيدُهُ، يُعِيدُ الأَجْزَاءَ الأَصْلِيَّةَ وهيَ الَّتِي مِنْ شأنِهَا الْبَقَاءُ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ إلى ءاخرِهِ على عَجْبِ الذَّنَبِ وهو الَّذي لا يَبْلَى في ابنِ ءادمَ ومَكَانُهُ في أسفَلِ الظَّهْرِ.

وَقِيلَ يُتَوَقَّفُ فيهِ أيْ هَلْ هُوَ عَنْ عَدَمٍ أو تَفْرِيقٍ، فصارَتْ ثلاثةَ أقوالٍ =

= الأولُ: قولٌ بإعادَةِ عَينِ الْجِسْمِ بعدَ انْعِدَامِهِ انعِدَامًا محضًا، وهوَ الْحَقُّ وقولُ الْجُمْهُورِ.
الثاني: قولٌ بإعادَةِ عَينِ الْجِسْمِ بِمَعْنَى إعادَةِ أجْزَائِهِ الَّتِي تَفَرَّقَتْ تفريقًا محضًا وهو الْمَرْجُوحُ.

بُعِثتَ مِن قبرك على ما متَّ عليه، تقوم من قبرك وينحطّ عليك مَلَكُ الحسنات وملك السيئات وقد أنشطا كتابًا معقودًا في عنقك، يحضران معك، واحدٌ سائِق والآخر شهيد. فإن كُنتَ من المُتّقين، يستقبلكَ عملك في أحسن صورة وأطيَب ريح، يقول لك: هل تعرفني؟ فتقول: "لا، إلا أن اللّه قد طيَّبَ ريحَكَ وحَسّنَ صورتك". فيقول لك: كذلك كنت في الدنيا، وأنا عملك الصالح. أما إن كنتَ من المغضوب عليهم يستقبلك عملك في أقبح وأنتن صورة، فيقول لك: هل تعرفني؟ فتقول: "لا، إلا أن اللّه قد قبّحَ صورتك ونتّنَ ريحك". فيقول لك: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيئ.[٣]

تُبدّل الأرض والسماوات، فتكون أنت وسائر الناس في ظلمة دون الجسر[٤] على الصراط.

عن ابن عباس مرفوعًا أن النبي قال[٥]: " أخبرني جبريل أن لا إله إلا اللّه أنسٌ للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره، يا محمد لو تراهم حين

الثالثُ: قولٌ بإعادَةِ عَينِ الْجِسْمِ، مَعَ الْوَقْفِ في الْكَيْفِيَّةِ، وَنَصَرَهُ السَّعْدُ التَّفْتَازانِيُّ وغَيرُهُ.
وقالَ الصَّفَاقُسِيُّ في تقريبِ الْبَعِيدِ: وعلى الثلاثَةِ فلا بُدَّ مِنْ الإعادَةِ لِعَينِ هٰذا الْجَسَدِ، لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.انتهى،
وأمرُ الإعادةِ هٰذا مُجْمَعٌ عليهِ ففي شرحِ اللَّقَانِيِّ على جَوهَرَةِ التَّوحِيدِ: هٰذا كلُّهُ ثابتٌ بالْكِتَابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلَفِ.انتهى
والْخُلاصَةُ كما قال النَّفْرَاوِيُّ في الْفَوَاكِهِ الدَّوَانِي: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَعَادَ بِمَعْنَى الْعَوْدِ الْجُسْمَانِيِّ وَالرُّوحَانِيِّ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، فَيُعْدِمُ اللهُ الذَّوَاتِ ثُمَّ يُعِيدُهَا لِلْجَزَاءِ، وَلٰكِنِ اخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِالْمَعَادِ الْجُسْمَانِيِّ فِي مَعْنَاهُ فَالصَّحِيحُ وَعَلَيْهِ الأَكْثَرُ أَنَّ اللهَ يُعْدِمُ الذَّوَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ ثُمَّ يُعِيدُهَا، وَقِيلَ : يُفَرِّقُ الأَجْزَاءَ الأَصْلِيَّةَ ثُمَّ يُرَكِّبُهَا مَرَّةً ءاخرى.انتهى
وَعَدَمُهُ هُوَ خُلُوصُهُ مِنْ شائِبَةِ الْوُجُودِ، وَتَفْرِيقُ الأَجْزَاءِ خُلُوصُها مِنْ شائِبَةِ اتِّصَالِ جُزْءَينِ فأكثَرَ.
أَمَّا الْكَرَّامِيَّةُ فَقَالُوا بِعَدَمِ جَوَازِ إَعَادَةِ الْمَعْدُومِ، وَنَقَلَ الإمامُ أبو منصورٍ الْبَغداديُّ في أُصُولِ الدِّينِ إجماعَ الأُمَّةِ على تكفيرِهِم، فَيَكُونُونَ بِهٰذا وافَقُوا بعضَ أهلِ السنةِ في الْقَولِ بِجَمْعِ ما تَفَرَّقَ وَزَادُوا عليهِ أَنَّهُ لا يَجُوزُ إعادَةُ الْمَعدومِ يعني أنّهُ غَيرُ مَقْدُورٍ للهِ تعالى وهٰذا كُفْرٌ إجماعًا.
وهؤلاء لا يكونون طوال الوقت هكذا، إنما إذلالا لهم يكونون في بعض الأحيان لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون، وفي بعض الأحوال كالحساب ودخول جهنم فإنهم يكونون بكامل حواسهم ليذوقوا العذاب.(حاشية درج المعالي)

[٣] أورده الطبري في كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن الجزء السابع : القول في تأويل قوله الله :"وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم إلا ساء ما يزرون". والقرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان الجزء ١١. وقال السيوطي في كتابه الدر المنثور المجلد الثالث مانصه: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والخطيب بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله {يا حسرتنا} قال: الحسرة أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة في الجنة، فتلك الحسرة".

[٤] الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري المجلد الحادي عشر، قال مانصه: "أخرجه مسلم عن عائشة أنها " سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض) أين يكون الناس حينئذ؟ قال: على الصراط " وفي رواية الترمذي " على جسر جهنم " ولأحمد من طريق ابن عباس عن عائشة " على متن جهنم " وأخرج مسلم أيضا من حديث ثوبان مرفوعا " يكونون في الظلمة دون الجسر " فقد جمع بينها البيهقي بأن المراد بالجسر الصراط" ا.هـ

يقومون من قبورهم ينفضون رؤوسهم، هذا يقول لا إله إلا اللّه والحمدللّه فيَبيَضُّ وجهه، وهذا ينادي يا حسرتًا على ما فرّطتُ في جنب اللّه فيَسوَدُّ وجهه".

تُمَدُّ الأرض مَدّ الأديم[٦]، يُبعث كلّ عبد على ما مات عليه حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه.

يُساقون إلى أرض المحشر، يُحشر الناس أفواجًا، فوجًا راكبين طاعمين كاسين، وفوجًا تسحبُهم الملائكة على وجوههم، ويُحشر من الناس فوجًا يمشون ويسعون.

أما أمّة محمد، تحشر على عشرة أصناف، بعضهم على صورة الخنازير والقِردة، وبعضهم مُنكّسين أرجلهم أعلاهم وَوُجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عُميٌ يترددون وبعضهم صمٌ بكمٌ[٧] لا يعقِلون، وبعضهم يمضغون ألسِنتهم وهيَ مُدلاة على صدورهم يَسيلُ القيْحُ من أفواههم[٨] لعابًا يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم، وبعضهم مُصلّبون على جذوع النار، وبعضهم أشدُّ نتنًا من الجيَف، وبعضهم يلبسون جلابيب[٩] سابغة[١٠] من القطران(وهو النحاس المُذاب).

---

[٥] السيوطي في كتابه الدر المنثور – المجلد الخامس – تفسير سورة الإسراء، وقال مانصه: وأخرج ابن مردويه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في القبور، ولا في الحشر كأني بأهل لا إله إلا الله قد خرجوا من قبورهم ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن".

[٦] ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري المجلد الثامن، قال مانصه :" ورجاله ثقات، لكنه مرسل ومن طريق علي بن الحسين بن علي: أخبرني رجل من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تمد الأرض مد الأديم " الحديث وفيه " ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض."

[٧] وهؤلاء لا يكونون طوال الوقت هكذا، إنما إذلالا لهم يكونوا في بعض الأحيان لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون، وفي بعض الأحوال كالحساب و دخول جهنم فإنهم يكونوا بكامل حواسهم ليذوقوا العذاب

[٨] أورده القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان الجزء ١٩، تفسير سورة عم، وقال مانصه: وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا، والعمي: من يجور في الحكم، والصم البكم: الذين يعجبون بأعمالهم. والذين يمضغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم. والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران. والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان. والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم. والذين يلبسون الجلابيب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء

[٩] جلباب جمع : جَلاَبِيبُ . [ج ل ب]. (مصدر جَلْبَبَ). :- اِرْتَدَى جِلْبَابَهُ :- : قَمِيصٌ وَاسِعُ طَوِيلٌ ، لَهُ أَكْمَامٌ وَغِطَاءٌ لِلرَّأْسِ ، يَلْبَسُهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، وَهُوَ مِنَ الْمَلاَبِسِ الشَّائِعَةِ بِالْمَغْرِبِ

[١٠] أي لاصقة بجلودهم

فمنهم من يُحشر بوجهين من نار ومنهم بلسانين من نار ومنهم من يحشر مغلولاً ومنهم من يكون مُلجمًا بلجام من نار[١١].

ومنهم من يحشر ومَلَكٌ ءاخذٌ بقفاه حتى يوقِفهُ على جهنم وينتظر ما يؤمر به، فإن قيل له: ألقِه، ألقاهُ في مَهوى أربعين خريفًا.

أمّا الدنيا، فيُؤتى بها (أي بالدنيا) يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوّهة خَلقها فتُشرفُ على الخلائق، فيُقال لهم: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ باللّه من معرفةِ هذه، فيقال: هذه الدنيا، تفاخرتم عليها وتقاطعتم وتخاصمتم، وتباغضتم، واغتررتم، ثم تُقذف في جهنم، فتُنادي: أين أتباعي وأشياعي؟ فيُقال: ألحِقوا بها أتباعها وأشياعها[١٢].

أحضِر رحمك اللّه في قلبك صورتك، وأنت قد وقفتَ عاريًا ذليلاً مَدحورًا مُتحيّرًا مُنتظِرًا لما يجري عليكَ من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.

يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ يوم القيامة كما دلّت عليهِ الآيات الواردة في معناها، كقوله تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴾، وقوله: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾، وقوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ أي تذوب كما يذوب الدُّردي[١٣] والفضة في السبك، وتتلوّنُ كما تتلوّن الأصباغ التي يُدهنُ بها، فتارَة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلكَ من شِدّة الأمرِ وهَوْل يوم القيامة العظيم. عن أنس بن مالك قال[١٤]،قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "يُبعثُ الناس يوم القيامة والسماء تطشّ عليهم" قال الجوهري: الطش، المطرُ الضعيف، وقال ابن عباس: ﴿ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ كالأديم الأحمر.

---

[١١] (حديث) "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم، وصححه من حديث أبي هريرة، والحاكم من حديث عبد الله بن عمر وصححه، وابن ماجه من حديث أنس وأبي سعيد الخدري بسند ضعيف.

[١٢] رواه أبو سعيد ابن الأعرابي في الزهد عن ابن عباس.

[١٣] الدردي: ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والأدهان

[١٤] رواه الإمام أحمد من حديث أنَس بن مالك

تعال واقرأ رحمك اللّه هذه الأبيات:

مَثّل لنفسك أيها المغرورُ

يوم القيامة والسماءُ تمورُ

إذ كوّرت شمسُ النهار وأدنِيَت

حتى على رأس العباد تسيرُ

وإذا النجوم تساقطت وتناثرت

وتبدّلت بعد الضياءِ كدورُ

وإذا البحار تفجّرت من خوفها

ورأيتها مثل الجحيم تفورُ

وإذا الجبال تقلّعت بأصولها

فرأيتها مثل السحاب تسيرُ

وإذا العِشار تعطلت وتخرّبت

خَلتِ الديار فما بها معمورُ

وإذا الوحوش لدى القيامة أحشِرت

وتقول للأملاك أين تسيرُ

وإذا تقاة المسلمين تزوجت

من حورِ عينٍ زانهنَ شعورُ

وإذا الـمَـوُّودَةُ [١٥] سُوئِلت [١٦] عن شأنها

---

[١٥] الْمَوُودةُ لغةٌ في الموءُودةُ وهي واردةٌ في إحدى القراءاتِ المتواترةِ وكذلك قُرئَ الْمَوُّودة بتشديدِ الواو، والموءودةُ هي التي دُفِنت وهي حيّةٌ عند ولادتِها، كان أهل الجاهليةِ يفعلونها خشيةَ أنْ تجلبَ لهم العارَ عندما تكبر، فانظر إلى عظيمِ نعمةِ الإسلامِ ببعثةِ نورِ الأكوانِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

[١٦] سُوئِلَت بمعنى سُئِلَت أتىَ بها على هذا النحو لكي يستقيم الوزنُ

وبأي ذنبٍ قتلها مَيسورُ

وإذا الجليل طوى السما بِيَمينه[١٧]

طيّ السجلِ كتابه المنشورُ

وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت

تُبْدَى لنا يوم القصاص أمورُ

وإذا الصحائف نُشِّرَت فتطايَرت

وتَهتّكت للمؤمنينَ سُتورُ

وإذا السماء تكشَّطت عن أهلها

ورأيتَ أفلاك السماء تدورُ

وإذا الجحيم تسعّرت نيرانها

فلها على أهل الذنوب زفيرُ

وإذا الجنان تزخرفت وتطيّبت

لِفتىً على طولِ البلاءِ صبورُ

وإذا الجنين بأمِّه مُتعلّق

يخشى القصاص وقلبه مذعورُ

هذا بلا ذنبٍ يخافُ جناية

كيف المُصِرُّ على الذنوبِ دهورَ؟

[١٧] قولُهُ: السما، بحذف الهمزةِ. وقولُه بيمينهِ أي بقدرتِهِ من غيرِ نقصٍ أو ضعفٍ، لأنّ الضعفَ يُنسبُ غالبًا إلى الشمال، ولهذا جاء في الحديثِ الصحيح: (وكِلْتا يديهِ يمينٌ) إشارةً إلى كمال الله تعالى، رواهُ مسلمٌ وغيرُه.

الحشر

وَرَد في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال[١٨]: "
أول من يدعى يوم القيامة ءادم فيتراءى ذريّته، فيُقال: هذا أبوكم ءادم،
فيقول: لبّيك وسعديك، فيقول: أخْرِج بَعْثُ جهنّم مِن ذريّتك، فيقول: ياربّ
كم أخْرِج؟ فيقول: مِن كلّ مائة تسعة وتسعين، فقالوا: يا رسول اللّه إذا أخِذ
مِنا مِن كل مائة تسعة وتسعين فماذا يبقى؟ قال: إن أمَّتي في الأمَم
كالشعرةِ البيضاء في الثورِ الأسود"
قال ابن حجر: هذا أول شيء يقعُ يوم القيامة.
تخيّل نفسك رحمك اللّه أنك وقفتَ بين الخلائق على الأرض المُبدّلة. يحشرُ اللّه
الأمَم من الإنسِ والجنِ عُراة حُفاة أذِلاء، قد نزعَ المُلك من ملوكِ الأرض
ولَزِمَهُم الصّغار بعدَ عُتُوّهم، والذِلّة بعد تجبّرهم على عباد اللّه في أرضه. ثم
أقبَلتِ الوحوشُ من أماكنها منكّسة رؤوسها بعد توحُّشِها من الخلائق
وانفرادها ذليلة من هوْل يومِ النُشور من غير ريبة ولا خطيئة اصابتها حتى
وَقفَت من وراءِ الخلقِ بالذِلةِ والانكسارِ للعزيز الجبّار، وأقبَلتِ الشياطين بعد
تمرُّدها وعُتوِها خاضِعة ذليلة للعرضِ على الملكِ الديّان، فإذا تكاملت عِدّة
أهل الأرض من إنسِها وجِنِّها وشياطينها ووحوشِها وسِباعِها وأنعامِها
وهَوامِها تناثرت نجومُ السماء من فوقهم وطُمِسَت الشمس والقمر

---

[١٨] صحيح البخاري، الجزء الرابع، كتاب الرقاق، باب الحشر.

فأظلما عليهم، ومَارَت[١٩] سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بِعِظَمِها فوق رؤوسهم وهي خمسمائة عام، فيَا هَوْل صوت انشِقاقها في سَمعِهم، وتمزّقت وتفطرت لهولِ يوم القيامة ومن عِظَمِ يوم الطامّة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المُذابة كما قال اللّه تبارك وتعالى ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ وقال ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ ﴾ أي كالصوفِ المنفوش وهو أضعف الصوف وهبَطت الملائكة من حافاتها إلى الأرض بالتقديس لربّها، فَتخيّل انحِدارهم من السماء لِعِظم أجسامهم وكثرةِ أخطارهم وهول أصواتهم وشِدّة فرقهم من خوف ربهم، فتخيّل فَزَعَك حينئذٍ وفزع الخلائق لنزولهم مَخافة أن يكونوا قد أُمِروا بكم، فأخذوا مصافّهم مُحدِقين بالخلائق مُنكّسي رؤوسهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذِلة والخضوع لربهم، وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة، قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم في العدة وعظمِ الأجسام والأصوات، حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع كُسِيَت الشمس حرّ عشر سنين، ثم أدنيت من الخلائق قابَ قوسين أو قوس فلا ظِل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن، فمِن بينِ مستظلٍ بظلِ العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضهم بعضاً، واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش، و قد اجتمع عليهم في مقامهم حرّ الشمس مع وَهْج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العَرق

---

[١٩] في لسان العرب: تمور أي تموج

منهم على وجه الأرض، ثم على أقدامهم، ثم على قدرِ مراتبهم ومنازلهم عندَ ربّهم من السعادة والشقاء، فمِنهم من يبلغ العرقُ مَنْكِبَيْه وحقوَيهِ[٢٠]، ومنهم إلى شحمةِ أذُنيه، ومنهم من قد ألجَمَهُ العرقُ فكادَ أن يغيبَ فيهِ. فإن كُنتَ من المؤمنين المتّقين فإنك لا تجدُ حرّها، وإن كنتَ من المغضوبِ عليهم فإن حرّها يومئذٍ يطبُخكَ طبخًا حتى يُسمع لجوفِك "غق غق".

فإذا بالعرش تحمله ثمانية من الملائكة ، وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات عظيمة، لهم هرجٌ عظيم لا تطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي خلقها اللّه تعالى لهذا الشأن خاصة، فتطرق الرؤوس وتخنس وتشفق البرايا وترعب الناس من عذاب اللّه سبحانه، إذ غشاهم نور حتى غلبَ عليه نور الشمس التي كانوا في حرّها فلا يزالون يموجُ بعضهم في بعض والجليلُ سبحانه لا يكلّمهم كلمة واحدة.

فينزل المَلَكُ ومَجنبته اليُسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قِطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قِياماً من الملائكة فذلك قوله: { يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ[٢١]}

---

[٢٠] الحَقْو: الخَصْر، وهو وسط الإنسان فوق الورك

[٢١] بسلطانٍ أي بتمكينٍ من اللهِ تعالى، إلا بمُلْكٍ، لأنَّ الْمُلْكَ هو سلطانُ التصرُّفِ، أمّا الْمِلْكُ فهو ما يكونُ حقًّا لصاحبِهِ، فقد يكونُ الشيءُ مِلكَكَ ولا مُلْكَ لكَ عليهِ، لأنّهُ مغصوبٌ مثلا.

وهذه من الخوارق الواقعة يوم القيامة، فإن الجماعة في الدنيا إذا وقفوا في الماء الذي على أرض مُعتدلة، كانت تغطيةُ الماءِ فيها على السواء، أما يوم القيامة فالأحوال مختلفة.

أما المؤمنون المتّقون فيكونون على كراسيَ من ذهَب ويظلّل عليهم الغمام وما طول اليوم على بعضهم إلا كساعةٍ من النهار.

ويؤتى بجهنم يوم القيامة يأكلُ بعضها بعضاً يقودها سبعون ألف ملك، يُؤتى بها من المحل الذي خلقها اللهّ تعالى فيه.

فتُدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة إلا الصراط، والملائكة يقودونها بسبعين ألف زمام[٢٢]، والزمام هو ما يزم به الشيء أي يُشد ويربط، وهذه الأزِمَّة التي تُساق بها جهنم، تُمنَع من خروجها على أرض المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمِرَت بأخذِ مَن يَشاء اللهّ.

فإذا رأت الناس وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

فإذا رأتهم زفرت زفرة فلا يبقى نبيّ ولا صديق إلا بَرَكَ [٢٣] على ركبتيه يقول: يا ربّ نفسي نفسي ويقول رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم حينها: أمَّتي أمَّتي،

قال ابن عباس إن جهنم تراهم من مسيرة ١٠٠ عام، وذلك إذا أتيَ بجهنم تُقاد بسبعين ألف زمام، لو تُرِكت لأتت على كلِ برّ وفاجر،فإذا سمعوا لها تغيّظًا

---

[٢٢] أورده الطبراني في معجمه الكبير باب الظاء، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد المجلد العاشر، والقرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان ، الجزء ٢٠، تفسير سورة الفجر، وقال مانصه: قال ابن مسعود ومقاتل: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيظ وزفير، حتى تنصب عن يسار العرش. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها). وقال أبو سعيد الخدري: لما نزلت "وجيء يومئذ بجهنم" تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف في وجهه، حتى اشتد على أصحابه، ثم قال:أقرأني جبريل: "كلا إذا دكت الأرض دكا دكا".

[٢٣] وهذا يُفَسَّر على أنه إجلالٌ لله تعالى لأنهم رأوا أثرًا من ءاثار قدرة الله وليس خوفًا من عذاب الله.

وزفيرًا، تزفر زفرةً لا يبقى قطرة من دمع إلا بَدَت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها تقطّع اللهوات والحناجر وهو قوله تعالى:" وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ".

وكان بعض الوعاظ يقول: أيها المجترىء على النار ألك طاقة بِسَطوة الجبّار ومالِك خازنُ النار إذا غضبَ على النار وزَجَرها [٢٤] زَجرة كادت تأكلُ بعضها بعضاً.

إذا كان يوم القيامة جَمع اللّه الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد[٢٥]، فنزلت الملائكة فصاروا صفوفاً. فيُقال لجبريل: إئتِ بجهنم، فيجيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق. ثم زفرت الثانية فلا يبقى ملكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مُرسَل إلا جـَثا[٢٦] على ركبتيه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهب العقول فيفزع كل امرئٍ إلى عمله، حتى إن إبراهيم الخليل يقول: بِخِلّتِي لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى: بمُناجاتي لا أسألك إلا نفسي

ويقول عيسى: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي،

(وهذا ليس تنقيصًا للأنبياء، الأنبياء ليسوا جبناء، بل هذا من خوفهم من رِّبهم ومن إيمانهم وتقواهم، فهُم يعرفون أن مَأواهُم الجنّة، وهذا من باب الإجلال لما رأوْا أثر من آثار قدرة اللّه وغضبه)

---

[٢٤] الزَّجْرُ المنع والنهي (كتاب مختار الصحاح)

[٢٥] أورده البخاري في صحيحه الجزء الثاني، كتاب الأنبياء، والسيوطي في كتابه الجامع الصغير، المجلد الرابع، والقرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان، الجزء ١٥، تفسير سورة يس، وقال مانصه: وروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الإنس والجن والأولين والآخرين في صعيد واحد ثم أشرف عنق من النار على الخلائق فأحاط بهم ثم ينادي مناد: "هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون" فحينئذ تجثو الأمم على ركبها".

[٢٦] أي جَلسَ على ركبتيه

ومحمد صلى اللّه عليه وسلم يقول: أمَّتي أمَّتي، لا أسألك اليوم نفسي، إنما أسألك أمَّتي.

فيُقال له ﷺ: إن أولياء أمّتِك لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، فـوَعِزَّتي وجلالي لأقُرَّن عينَك في أمَّتك. ثم تقِفُ الملائكة ينتظرون ما يُؤمرون به، فيُقال لهم: معاشِرَ الزبانية، انطلقوا بالمُصِرّين من أهل الكبائر من أمّة محمد صلى اللّه عليه وسلم إلى النار، فقد اشتدَّ غضبُ اللّه عليهم بتهاونهم بأمرِه في دار الدنيا واستخفافهم، ولم يعرفوا فضل اللّه وعظيم نِعمتِه، فعندها تأخذ الزبانية[٢٧] بِلِحَى الرجال وذوائب[٢٨] النساء فيُنطلقُ بهم إلى النار، وما من عبدٍ يُساق إلى النار، من غيرِ أمّة محمد ﷺ، إلا مُسوَدّ الوجه، قد وُضِعَت الأنكال في رجليهِ والأغلال في عُنقِه، إلا من كان من هذه الأمّة، فإنهم يُساقون بألوانهم، فإذا وَردوا على مالِك –خازن النار– قال لهم: معاشِرَ الأشقياء، مِن أي أمّة أنتم؟ فما ورَدَ عليَّ أحسن وجوهًا منكم!

فيقولون: يا مالك، نحن مِن أمّة القرآن، فيقول لهم: يا معشر الأشقياء، أوليسَ القرآن أنزل على محمد ﷺ ؟ .

حينها يرفعون أصواتهم بالنحيبِ والبُكاء، ويقولون: وامُحمداه! وامحمداه! وامحمداه! اشفع لمن أمِرَ بهِ إلى النارِ من أمَّتك.

فيُنادَى مالك بتهدُّدٍ وانتهار: يا مالك، من أمركَ بمُعاتبة أهلِ الشقاء ومحادثتهم والتوقُّف عن إدخالهم العذاب؟

[٢٧] الزبانية هم الملائكة المُوَكّلون بتعذيب الذين يُؤمَر بهم إلى النار

[٢٨] ذوائب: شعر مقدم الرأس

يا مالك، لا تُسوِّد وجوههم فقد كانوا يسجدون لربّهم في دار الدنيا.

يا مالك: لا تغلّهم بالأغلال، فقد كانوا يغتسِلون من الجنابة.

يا مالك ، لا تعذّبهم بالأنكال، فقد طافوا البيت الحرام.

يا مالك. لا تلبسهُم القطران، فقد خلعوا ثيابهم للإحرام.

يا مالك، مُرِ النار لا تحرق ألسنتهم، فقد كانوا يقرأون القرآن.

يا مالك، قُل للنار أن تأخذهم على قدرِ أعمالهم، فالنارُ أعرفُ بهم وبمقادير استحقاقِهم من الوالدةِ بولدِها[٢٩].

فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى سُرّته، ومنهم من تأخذه إلى صدره، ومنهم دون ذلك.

فإذا انتقم اللّه عز وجل منهم على قدر كبائرهم وَعُتُوِّهم وإصرارهم، فتح بينهم وبين المشركين باباً فرأوهم في الطبقِ الأعلى من النار، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، يبكُون ويقولون: يا محمداه، ارحَم من أمَّتك الأشقياء واشفع لهم، فقد أكلت النار لحومهم ودِماءهم وعظامهم، ثم ينادون: يا ربّاه، يا سيِّداه، ارحَم من لم يُشرك بك في دار الدنيا، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدّى، فعندها يقول المشركون: ما أغنى عنكُم إيمانكم باللّه وبمُحمد شيئاً،

فيَغضب[٣٠] اللّه تعالى لذلك، وعندها يُقال: يا جبريل انطلق فأخرِج مَن في النار مِن أمّة محمد، فيُخرجهم ضَبائرَ قد امتَحَشوا[٣١] فيُلقيهم على نهرٍ

---

[٢٩] أورده الإمام السيوطي في كتابه البدور السافرة في أمور الآخرة، و القرطبي في كتابه التذكرة.

[٣٠] غضب الله ليس انفعالاً وليس إحساسًا أو مشاعر، الله تعالى مُنزّه عن أن يشابه مخلوقاته بصفة من الصفات، صفات الله ليست كصفات المخلوقات وصفاته أزليّة أبديّة لا بداية ولا نهاية لها.

[٣١] وفي رواية " وقد امتُحشوا" بضم التاء وكسر الحاء – رواهُما البخاري في صحيحه- ، والمَحْشُ: إحراقُ النارِ للجلدَ. وقد مَحَشْتُ جلدَه، أي أحرقته.

على باب الجنة يُقال له نهر الحياة، فيَمكثُون حتى يعودوا أنضرَ[٣٢] ما كانوا، ثم يأمر بإدخالهم الجنة.

ورد[٣٣] أيضًا أنه لما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يُقال: أخرجوا من كان في قلبهِ مِثقال حَبّة من خَردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسوَدّوا فيُلقوْن في نهر الحياة فينبتون كما تَنبتُ الحبّة في جانبِ السّيْل ألم ترَ أنها تخرج صفراء مُلتوية.

وَرَدَ[٣٤] عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (إذا دَخل أهل الجنةِ الجنة، وأهل النارِ النار، يقول اللّه: من كان في قلبه مِثقالُ حبّة من خردل من إيمان فأخرِجوه. فيَخرُجون قد امتحشوا وعادوا حِمماً، فيُلقوْن في نهر الحياة، فينبتون كما تنبتُ الحبّة في حميل السيل، أو قال: حمية السيل - وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم - ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية).
[(امتحشوا) من الامتحاش وهو احتراق الجلد وظهور العظم. (حِمَماً) أي فحماً. (الحبّة) بزر البقول والعشب، تنبتُ في البراري وجوانب السيول.
(حميل السيل) أي غثاؤه، وهو ما جاء به من طينٍ وغيره، فإذا كان فيهِ حبّة واستقرّت على شَطّ الوادي تنبتُ بسُرعة. (حمية السيل) أي معظم جريهِ واشتدادهِ. وعند مُسلم (حمئة السيل) وهي الطين الأسود].
فانظر رحمكَ اللّه إلى يومٍ مقداره ٥٠ ألف سنة، ما أطول هذا اليوم، والذي نفسُ محمدٍ بيده، إنه ليخفّفُ على المؤمن حتى يكون أهوَن عليه من الصلاة المكتوبة يُصلّيها في الدنيا.

---

[٣٢] نُضُوراً، ونَضْرَة: كان ذا رونق وبهجة. (من كتاب المعجم الوسيط)

[٣٣] زيادة الجامع الصغير للإمام السيوطي حرف الياء. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة والنار باب النار يدخلها الجبارون رقم ٤٢

[٣٤] صحيح البخاري الجزء الرابع، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار

الحساب

الكتبُ كلها تحت العرش فإذا كان يوم الموقف، بعث اللّه ريحاً فتطيّرها، فمِنهم مَن يأخذها باليمين ومِنهم بالشِمال، أول خط فيها: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

سيقرأ يومئذٍ مَن لم يكُن قارئـًا في الدنيا. فإن أكلتَ خبز برّ، وكان لك ظِل، وشربت الماء الفُرات المبرَّد، فهذا تُسأل عنهُ كُلّه. فلا تزولُ قدمُ عبدٍ يومَ القيامة، حتى يُسأل عن أربع، عن عُمرِه فيما أفناهُ وعن جسده فيما أبلاه وعن عِلمِه ما عَمِل فيهِ وعن مالِه من أينَ اكتسبَه وفيما أنفقه. فما أخوَف هذا الموقف يوم الحساب حينَ يُقال لك: قد عَلِمتَ فما عَمِلتَ[٣٥]؟؟

فكيفَ بكَ رحمكَ اللّه لما يُختمُ على فَمِك، ويُقال لأعضائك: انطِقي، فتنطقُ بأعمالِك. وليسَ مؤمنٌ ولا كافرٌ عَمِل خيرًا ولا شرًا في الدنيا إلا أراهُ اللّه إياه، فأمّا بعضُ المؤمنين فيريهم حسناتهم وسيئاتهم، فيغفر لهم من سيئاتهم ويثيبهم على حسناتهم، وأما الكافر فيُريهِ سيّئاته وأعماله الحسنة في الدنيا فيرد عليه حسناته ويعذبه بسيئاته.

يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويُمَدُّ له في جسمه ستون ذراعاً، ويَبيَضّ وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيَنطلق إلى أصحابه فيرونَه من بعيد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم، ويقول: أبشِروا، لكل مسلم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعاً على صورة ءادم، ويلبس تاجاً من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ باللّه من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه، فيقول: أبعدكم اللّه، فإن لكل رجل منكم مثل هذا.

[٣٥] السيوطي في زيادة الجامع الصغير، حرف الهمزة

فمنهم من يُؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء، قال أحدهم:

مـَثِّل وقوفـَكَ يومَ العرضِ عُرياناً ... مستوحشاً قلقَ الأحشاء حيرانا

والنار تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاةِ وربُّ العرش غضبانا

اِقرأ كتابَكَ يا عبدي على مَهْلٍ ... فهل ترى فيهِ حرفاً غيرُ ما كانا؟

لما قرأتَ ولم تُنْكِر قراءتَهُ ... إقرارَ مَن عَرفَ الأشياءَ عِرفاناً

نادى[٣٦] الجليلُ: خذوه يا ملائكتي ... وامْضُوا بعَبْدٍ عَصى للنارِ عَطشانا

المشركون غدًا في النار يلتهبوا[٣٧] ... والمؤمنون بدار الخلد سُكّانا

فتخيّل نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب ونُصِبَت الموازين وقد نوديتَ باسمك على رؤوس الخلائق "أين فلان ابن فلان، هَلُمّ إلى العرضِ على اللّه تعالى". وقد وُكِّلَت الملائكة بأخذِك فقرّبَتك لا يمنعُها اشتباهُ الأسماء باسمِك واسم أبيك، إذ عرفتَ أنك المرادُ بالدعاء، إذ قرَع النداءُ قلبك، فعلمتَ أنك المطلوب، فارتعَدَت فرائِصُك، واضطربَت جوارحك، وتغيَّر لونك، وطار قلبك.

تُخُطِّيَ بك الصفوف للعرض والوقوف للحساب، وقد رفعَ الخلائق إليكَ أبصارهم وأنت بينَ أيديهم وقد طارَ قلبك واشتدَ رعبك لعِلمِكَ أين يُراد بك. فتخيّل نفسك وأنت في هذه الحالة وفي يدك صحيفة مُخبِرة بعمِلك لا تغادِر بَلِيَّة كتمتها ولا مُخبَّأة أسرَرتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسانٍ كليلٍ وقلبٍ مُنكسِر والأهوالُ مُحدِقة بكَ مِن بين يديك ومن خلفِك، فكَم من بَليَّة قد

---

[٣٦] إعلم أن الآيات والأحاديث التي فيها لفظ النداء هي من المتشابهات التي نؤمن بها ونكل علمها إلى الله تعالى مع القطع بالتنزيه، أو نأولها بما يليق بالله سبحانه وتعالى، وما ورد في حديث الموقف من إضافة النداء إليه تعالى، المراد به نداء الملك بأمره كما وقع التصريح به في بعض الأحاديث. وإطلاق مثل ذلك شائع مشهور لغة وعرفًا، حيث يضاف إلى الملك أفعال جنده لأنه آمر بذلك، ومن قوله تعالى :" يا هامان ابن لي صرحًا لعلي"، أي: مُر العملة بالبناء.ا.هـ كلام السيوطي في كتابه البدور السافرة باب قوله تعالى "وجاء ربك والملك صفًا صفًا"

[٣٧] قولُه: (يلتهبوا) على حذفِ لامِ الأمرِ أي لِيلتهبوا، وهذا واقعٌ في لغةِ العربِ كما في قولِ الشاعرِ:

لكِ الويلُ كلَّ الوجهِ أو يبكِ مَن بكى، أي لِيبكِ مَن بكى، بلامِ الأمرِ، وذاك كهذا.

كنتَ نسيتها قد ذكرتَها، وكم من سَيِّئةٍ قد كنتَ أخفيتَها قد أظهرها وأبْداها كتابك، وكم مِن عملٍ ظنَنْتَ أنه سَلِمَ لكَ وخلُصَ فَرُدّ عليكَ في ذلك الموقِف وأحبِطَ بعدَ أن كان أملكَ فيهِ عظيماً؟

فيَا حَسرة قلبك ويا أسَفك على ما فرّطت فيهِ من طاعةِ ربّك ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ فعَلِمَ أنهُ من أهل الجنة ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ وذلكَ حينَ يَأذن اللّه لهُ فيَقرأ كِتابه.

فإذا كان الرجلُ رأساً في الخير يدعوا إليهِ ويأمر بهِ ويكثر تبعَه عليه دُعِيَ باسمِه واسم أبيهِ فيَتقدَّم، حتى إذا دَنا أخرجَ لهُ كتابٌ أبيض بخطٍ أبيض في باطِنه السيّئات وفي ظاهرِه الحسنات، فيَبدأ بالسيئات فيَقرؤها فيشفقُ ويصفَرُّ وجههُ ويتغيّر لونه، فإذا بَلغ ءاخر الكتاب وَجدَ فيه: "هذه سيئاتك وقد غُفِرَت لك". فيفرحُ عند ذلك فرحاً شديداً، ثم يقلِبُ كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً، حتى إذا بلغ ءاخر الكتاب وجدَ فيهِ: "هذه حسناتك قد ضُوعِفت لك" فيبيَضُ وجههُ، ويُؤتى بتَاجٍ فيُوضَعُ على رأسه ويُكسَى حُلتّين ويُحلى كل مفصَل فيه ويُطوّلُ سِتّون ذراعاً وهي قامَةُ ءادم ويُقال له: انطلق إلى أصحابك فبَشّرهُم وأخبرهم أن لكلّ إنسان مِنهم مِثل هذا، فإذا أدبَر قال ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ قال اللّه تعالى ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي مَرْضِية قد رَضِيَها ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ في السماء ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أدنيَت منهم فيقول لأصحابه هل تعرفونني؟ فيقولون: قد غمرتكَ كرامة اللّه، من أنت؟، فيقول: أنا فلان ابن فلان، جئتُ لأبشّر كلّ رَجُل مِنكم بمثلِ هذا ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ أي قدَّمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأساً في الشر يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه ويُنادى باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه فيُخرَج له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ ءاخر الكتاب وجد فيه: "هذه حسناتك وقد رُدَّت عليك".

فيَسْوَدّ وجهه ويَعلوهُ الحزن ويَقنطُ من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ ءاخر الكتاب وجد فيه: "هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك" أي يُضاعفُ عليه العذاب ليس المعنى أنه يُزادُ عليهِ ما لم يعمل.

ذكرَ [٣٨] ابن المبارك قال: قال عمر لكعب: ويحكَ يا كعب، حدِّثنا من حديثِ الآخرة قال: نعم يا أميرَ المؤمنين إذا كان يوم القيامة رُفعَ اللوح المحفوظ فلم يبقَ أحدٌ من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عملهِ - قال - ثم يُؤتى بالصحفِ التي فيها أعمالُ العبادِ فتُنثرُ حول العرش، وذلك قوله تعالى: " وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ". قال الأسدي: الصغيرةُ ما دون الشرك والكبيرةُ الشرك، إلا أحصاها. قال كعب: ثم يُدعى المؤمن فيُعطى كتابهُ بيمينه فينظرُ فيهِ فإذا حسناته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته لكي لا يقول كانت لي حسنات فلم تُذكَر فأحبَّ اللّه أن يُريَهُ عملهُ كلّه حتى إذا استنقصَ ما في الكتاب وجدَ في آخر ذلك كلّه أنه مغفور وأنكَ من أهل الجنة. فعِندَ ذلك يُقبِلُ إلى أصحابهِ ثم يقول " هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ". ثم يُدعى بالكافر فيُعطى كتابهُ بشمالِهِ ثم يُلفُ فيُجعل من وراء ظهرهِ ويُلوى عُنقهُ فذلك قوله "وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ" فيَنظر في كتابه فإذا سيئاتُه باديات للناس وينظر في حسناته لكي لا يقول أفأثاب[٣٩] على السيئات.

فينظر إلى النار وتزرقُ عيناه ويسودُ وجهه ويُكسى سرابيل القطران، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول: ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾

[٣٨] الجامع لأحكام القرءان للقرطبي الجزء ١٠ تفسير سورة الكهف

[٣٩] معناه الإستفهام :" فأثـاب؟ " بفتح الفاء و الضم الألف

يعني الموت { هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ } قال ابن عباس: هَلكَت عني حُجَّتي.
قال تعالى { خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ } أي اجعلوه يَصلى الجحيم { ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ } واللّه أعلم بِأيِّ ذراع.

وقيل: يُدخَلُ عُنُقُهُ فيها ثم يُجرُّ بها ولو أن حلقةً [٤٠] منها وُضِعَت على جبل لأذابته فيُنادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون: لا ولكن قد نرى ما بك من الخِزي، فمَن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا.
وأمّا مَن أوتي كِتابه وراءَ ظهرِه فتُخلعُ كِتِفه اليُسرى فتُجعلُ يدهُ خلفهُ فيأخُذ بها كِتابه.

فتخيّل نفسك إن كنتَ من السعداء وقد خَرجتَ على الخلائِق يَلوحُ السرورُ على وجهِكَ قد حلّ لك الكمال والحسن والجمال، كتابك في يمينك ءاخذ بضَبعيْك [٤١] ملكٌ ينادي على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان سَعِدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً. وأما إن كنتَ من أهلِ الشقاوةِ فيسوَدُّ وجهك وتتخطى الخلائق. كتابكَ في شمالكَ أو من وراءِ ظهركَ تُنادي بالويلِ والثبورِ وَمَلكٌ ءاخذٌ بضَبيعكَ ينادي على رؤوس الخلائق "ألا إن فلان ابن فلان شقيَ شقاوة لا يسعدُ بعدها أبداً".

وإن الأقدام يوم الحساب، مثل النَبْلِ [٤٢] في القرن، بَلْ قيل إن السعيدَ يومئذٍ هو الذي يجدُ لقدميهِ موضعًا مريحًا يضعهُما عليهِ وإن الشمسَ تدنو من رؤوس العبادِ حتى لا يكون بينها وبينَ رؤوسهِم إلا مِيل، ثم يزدادُ حرّها بِضعَة وستون ضِعفًا (وفي قول ءاخر: قوة عشر سنين)، وعندَ الميزان مَلكٌ، إذا وزن العَبْد نادى: "ألا إن فلان ابن فلان قد ثَقُلَت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها

---

[٤٠] قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، وقال العوفي عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه.ا.هـ (من كتاب تفسير ابن كثير)
[٤١] بفتح أوله: أي إبطيك
[٤٢] أي السهم

أبدًا". و وَرد[٤٣] أنه ينادي المنادي بالشقاوة والسعادة: ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وهذا عند وزن الأعمال.

فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وَزنوها قبل أن تُوزَن عليكم، وإنما حِساب العبدُ لنفسه أن يتوبَ عن كل معصيةٍ قبل الموتِ توبة نصوحاً ويَتَدارك ما فرَّط من تقصيرٍ في فرائض اللّه عز وجل، ويَردّ المظالم إلى أهلها حَبّة حَبّة، ويستحلّ كل من تعرض لهُ بلسانهِ ويدهِ وسطوتهِ بقلبهِ، ويُطيّب قلوبهم حتى يموت، ولم يبقَ عليهِ فريضة ولا مَظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذُ بيَده، وهذا يقبضُ على ناصِيته[٤٤]، وهذا يتعَلقُ بِلَبَبِه[٤٥]، وهذا يقول ظلمتَني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأتَ بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأتَ جِواري، وهذا يقول عاملتَني فغَشَشْتَني، وهذا يقول بِعتَني وأخفيْتَ عني عَيْبَ مَتاعِك، وهذا يقول كذبتَ في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني مُحتاجاً وكنتَ غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنتَ قادراً على دفع الظلم فداهنتَ الظلمَ وما راعيْتَني، فبينما أنت كذلك وقد أنشبَ الخصماء فيكَ مخاليبهم وأحكموا في تلابيبكَ[٤٦] أيديهم وأنت مبهوتٌ مُتحيِّر من كثرتهم حتى لم يبقَ في عمركَ أحدٌ عاملتهُ على دِرهم أو جالستَهُ في مَجلس إلا وقد استحَق عليك مَظلمة بغيبة أو جِناية أو نظرة بعينِ الاستحقار، وقد ضعفتَ عن مُقاوَمتهم ومَدَدْتَ عُنُقَ الرجاء إلى سيّدك ومولاك لعلّه يخلّصك من أيديهم إذ قرَعَت سَمعَك الآية ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ فعِند ذلك ينخلِعُ قلبكَ من الهيْبة، وتُوقِنُ نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك اللّه به على لسان

---

[٤٣] الجامع لأحكام القرءان للإمام القرطبي الجزء ١٥ في تفسير سورة غافر

[٤٤] أي مقدمة الرأس، شعر مقدم الرأس إذا طال تماسكن بالنواصي (كتاب المعجم الوسيط)

[٤٥] أي رقبته. وفي كتاب لسان العرب مانصه: أخذ بتلبيبه ، أي : جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة وجره

[٤٦] جمعُ "تلبيب" وهو محلُ الطوق

رسوله صلى اللّه عليه وسلم حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾

فما أشدّ فرحك اليوم بتمَضمُضِكَ بأعراضِ الناس وتناولِك أموالهم، وما أشدّ حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل، وشوفِهتَ بخطاب السيئات، وأنت مفلسٌ فقيرٌ عاجزٌ مهينٌ لا تقدِر على أن تردّ حقاً أو تظهِر عذراً. فعِندَ ذلك تؤخذُ حسناتك التي تعِبت فيها عمركَ وتُنقلُ إلى أخصامِكَ عِوَضاً عن حقوقهم، فانْظر إلى مُصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سَلِمَت من آفاتِ الرياء ومكائِدِ الشيطان، فإن سَلِمَت حسنة واحدة في مُدّة طويلة ابتدَرها خُصماؤك وأخذوها.

قال[٤٧] أبو هريرة: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:هل تدرون من المفلِس؟ قلنا: المفلِسُ فينا يا رسول اللّه من لا دِرهم لهُ ولا دينار ولا مَتاع، قال: المفلِسُ مِن أمّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي وقد شَتمَ هذا وقذفَ هذا وأكل مال هذا وَسَفكَ دَم هذا وضربَ هذا فيُعطى هذا مِن حسناتِهِ وهذا من حسناتِهِ فإن فنيَت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخِذ من خطاياهم فطرِحَت عليه ثم طرحَ في النار"

ولعلك لو حاسبتَ نفسك وأنتَ مواظِبٌ على صِيام النهار وقيام الليل، لعلمتَ أنه لا يمضي عليك يومٌ إلا ويجري على لسانك من غيبةِ المسلمين ما يستوفي جميعَ حسناتك. فكيفَ ببقيةِ السيئات من أكلِ الحرامِ والشهواتِ والتقصيرِ في الطاعات؟ وكيفَ ترجو الخلاصَ من المظالم في يوم يُقتَصُ فيه للجلحاء من القَرناء[٤٨]؟

---

[٤٧] إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٥٢١)

[٤٨] الشاة الجلحاء هي التي لا قرون لها والقرناء هي التي لها قرون. يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قيل لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما

ويقول الكافر: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نُقِلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بالسيئات. فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط.

فيقال لك: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاوَرة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارَسة وسائر أصناف المعاملة. فاتّقِ اللّه في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم. فإن ما بين العبد وبين اللّه خاصة المغفرة إليه أسرع. ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسرَ عليه استحال أرباب المظالم من حيث لا يطّلع عليهِ إلا اللّه فليُكثر من الاستغفار لمن ظلمه. فعساه أن يقرّبه ذلك إلى اللّه فينال به لطفه الذي ادخره لأربابِ المؤمنينَ في دفعِ مَظالم العبادِ عنهم بإرضائِهِ إيّاهم.

الميزان

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وَزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسابها.

خرّج[٤٩] الحافظ أبو القاسم في سُننِهِ عن أنس يرفعهُ: (إن مَلكًا مُوَكّلا بالميزان فيُؤتى بابن آدم فيوقفُ بين كفّتيْ الميزان فإنْ رَجَحَ نادى الملكُ بصوتٍ يسمع الخلائق سَعِدَ فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإنْ خَفّ نادى الملك شقِي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا). وخرّج عن حُذيفة رضي اللّه عنه قال: (صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام) وقيل: للميزان كفّتان وخيوطٌ ولسان.

يحاسبُ الناس يوم القيامة، فمَن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، وإن الميزان يخفُ بمثقال حبّة ويرجحُ، ومن استوَت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف[٥٠]

فيُؤتى بابن ءادم يوم القيامة فيقفُ بين كفّتَيْ الميزان، ويوكّل به مَلكٌ، فإن ثقلت موازينه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق، سَعِدَ فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدًا، وأما المغضوب عليهم فتخِفُ موازينهم، وينادي الملكُ بصوتٍ يسمعه الخلائق "شَقِيَ فلان ابن فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدًا".

تُنصَب الموازين يوم القيامة فيُؤتى بأهل الصلاة فيوفّون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى ببعض

---

[٤٩] الجامع لأحكام القرءان للقرطبي الجزء ١١ تفسير سورة الأنبياء، وفي معناه رواه البزار في إسناده ضعف

[٥٠] سيأتي ذكرهم تفصيلاً في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى

أهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ولا ينتشر لهم ديوان ويُصَبّ عليهم الأجر صباً بغير حساب.

توهّم نفسك رحمك اللّه أنه تم أخذك على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشَر عليك تسعة وتسعين سجلاً كل سِجِل مثل مَدِّ البصر ثم يُقال لك: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك الكَتَبَةُ الحافظون؟

فتقول: لا

فيقال لك: أفلك عُذر؟

فتقول: لا،

فيقال لك: بل إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فيُخرج له بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله"

فيقال لك: احضِر وَزنك،

فتقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فيقال لك: إنك لا تُظلَم.

فتوضَع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة فطاشت السِّجلات وثقُلت البطاقة فلا يثقل مع اسم اللّه شيء.

ولقد أحسن من قال:

تذكر يوم تأتي اللّه فرداً ... وقد نُصِبت موازين القضاء

وهتكت الستور عن المعاصي ... وجاء الذنب منكشف الغطاء

وإنما توزن أعمال المؤمن التقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذلّه، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوّه عن كل خير، فكذلك توزن أعمال المُتَّقيّ تحسيناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شر وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد.

وأما مُخلّطُ السيءِ بالصالحِ فحسناته توضعُ في الكفةِ النيِّرة وسيئاته في

الكفّة المظلمة، فيكون لكبائِره ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بِصُؤابة دخل الجنة وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر اللّه، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين اللّه.

فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه، وخالف شيطانه ودنياه، كانت الجنة نُزُلَه ومأواه، ومن تمادى في غِيّه وطغيانه وأرخى في الدنيا زمام عصيانه، و وافق نفسه وهواه في مُناه ولذّاتِه وأطاعَ شيطانَه في جمعِ شهواتِه كانت النار أولى به، قال اللّه تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ .

الأعراف

الذينَ تساوت حسناتُهم مَع سيِّئاتِهم هم من أهلِ النجاة. لكن هؤلاء يُؤَخَّرون بُرْهَةً عن دخولِ الجنَّةِ. يكونون على أعلى سورِ الجنَّةِ. الجنَّةُ لها سُورٌ يحيطُ بها، وسورها عريضٌ واسع يقالُ له الأعراف.

أهلُ الأعرافِ يُؤَخَّرونُ بُرْهَةً [٥١] عن دخولِ الجنَّةِ ثمَّ يدخلونها بلا عذاب. هؤلاءِ هم الذين تساوت حسناتُهم مَع سيِّئاتِهم. يقولُ اللّه تعالى(وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ) أي بينَ الجنَّةِ والنارِ حاجزٌ، وهو السُّورُ الذي ذكرَهُ اللّه تعالى (يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًاۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ) والسُّورُ في هذه الآيةِ هو الحجابُ المضروبُ بينَ الجنَّةِ والنارِ المذكورُ في قولِه تعالى (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ) أي بينَ الجنَّةِ والنارِ حاجز. وهذا الحاجزُ هو سورُ الجنَّة. وأعلى هذا السُّورِ يقالُ له الأعراف. فهؤلاء المؤمنون، أهلُ الأعراف، يمكُثون على سورِ الجنَّة، من جهةِ أعلاه. فيَعْرِفُون أهل الجنَّةِ بسيماهُم، أي يَعْرِفُون أهلها ببياضِ وجوهِهم، ويَعْرِفُون أهل النارِ بسوادِ وجوهِهم. فينادي أصحاب الأعرافِ أصحابَ الجنَّةِ أنْ سلامٌ عليكم، ويقولون عندما يَرَوْن أهل النارِ (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) يقولُ اللّه تعالى(وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أي ينظرُ أصحاب الأعرافِ نحوَ أصحابِ النارِ فيَرَوْن رجالاً كانوا يعرفونهم في الدنيا فينادونهم بأسمائهم. ويكونُ أهلُ النارِ قد أقسَمُوا أنَّ أهل الأعرافِ سَيَدْخُلُون النارَ مَعَهُمْ وأنَّ اللّه لن يُدْخِلَهُمُ الجنَّةُ. يقولُ اللّه تعالى (أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) فيدخلُ أهلُ الأعرافِ الجنَّةَ.

[٥١] أي فترة من الزمن

الصراط

إنّ لجهنم جسرٌ أرقُّ من الشعر و أحَدُّ من السّيف، عن أبي سعيدٍ الخُدريّ :" بلغني أنّه أدقُّ من الشعرةُ وأحدُّ من السيف " ولم يرِد مرفوعًا إلى رسول اللّه ، وليسَ المرادُ ظاهرَه ، بل هو عريضٌ وإنّما المرادُ أنّ خطرَه عظيمٌ ، فإنّ يُسرَ الجوازِ عليه وعُسرَه على قدر الطاعاتِ والمعاصي ولا يعلمُ حدودَ ذلك إلا اللّه ، فقد وردَ في الصحيح :" تجري بهم أعمالهم " معناه أنّ أعمالهم تصيرُ لهم قوّة السّير

والصراط عليه كلاليب[٥٢] وحَسَك[٥٣] يأخذان مَن شاء اللّه، والناسُ عليه كالبرقِ وكالطرفِ وكالريحِ وكأجاويد الخيل والركاب، والزّالّون والزّالات يومئذ كثير .. فمِنهم مَن يردهُ ورودَ دخولٍ وهم الكفّار وبعض عصاة المسلمين ، أي يزلّون منه إلى جهنّم، ومنهم من يرده ورودَ مرورٍ في هوائه وهم الأتقياء.

تخيّل نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط ونَظرت إلى جهنم تحتك سوداء مُظلمة قد لظى سَعيرها و عَلا لهيبها وأنت تمشي أحياناً وتزحَفُ أخرى، قال:

أبَت نفسي تتوب فما احتيالي ... إذا برزَ العباد لذي الجلالِ
وقاموا من قبورهم سُكارى ... بأوزارٍ كأمثال الجبال
وقد نُصِبَ الصراطُ لكي يجوزوا ... فمِنهُم من يكبُّ على الشمال
ومنهم من يسير لدارِ عدنٍ ... تلقاهُ العرائسُ بالغوالي
يقول له المهمينُ يا وليّي ... غَفرتُ لك الذنوب فلا تبالي

وقال ءاخر:

إذا مُدّ الصراط على جحيم ... تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور ... وقوم في الجنان لهم مَقيل
وبان الحقُّ وانكشف الغطاء ... وطال الويلُ واتصل العويل

---

[٥٢] جمع كلاب بالضم أو كلوب بالفتح وشد اللام فيهما حديدة معوجة الرأس أو عود في رأسه اعوجاج
[٥٣] جمع حسكة شوكة صلبة معروفة تسمى شوك السعدان

ورد[٥٤] أنه عِند حافّتيْ الصراط كلاليبُ مُعلّقة مأمورة بأخذِ من أمِرت بأخذِه فمَخدوشٌ ناجٍ، ومُكردَسٌ في النار، والذي نفسُ محمد بيده: إن قعر جهنم لسبعون خريفاً

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم[٥٥]: "فإذا صار الناس على طرف الصراط نادى مَلكٌ من تحت العرش: يا فطرة[٥٦] الملك الجبار جوزوا على الصراط، ولِيـَقِف كل عاصٍ منكم وظالم".
فيا لها من ساعة وما أعظمَ خوفها وما أشدّ حرها، يتقدم فيها مَن كان في الدينا ضعيفاً مهيناً، ويتأخر عنها من كان في الدنيا عظيماً مكيناً، ثم يؤذنُ لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدرِ أعمالهم في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصفَ الصراط بأمة محمد نادوا: وا محمداه! فيُبادر النبي عليه الصلاة والسلام من شِدة إشفاقِه عليهم وجبريلُ آخذٌ بحجزته، فينادي رافعاً صوته: ربّ أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيامٌ عن يمينِ الصراط ويساره ينادون: ربّ سلّم سلّم.

وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال، والعُصاة يتساقطون عن اليمين والشمال، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال وينادونهم: أما نُهيتُم عن كسبِ الأوزار؟ أما خُوِّفتُم عذابَ النار؟ أما أنذِرتُم كل الإنذار، أما جاءكم النبيُّ المختار؟

فتفكّر الآن فيما يحلُّ بكَ من الفزع بفؤادك إذا رأيتَ الصراط ودقّته، ثم وقع بصرُك على سوادِ جهنم من تحته، ثم قرع سمعُك شهيق النار وتغيّظها، وقد كُلِّفت أن تمشي على الصراط مع ضعفِ حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك وثِقَل ظهرك بالأوزار المانِعَة لكَ من المشيِ على بِساط الأرض، فكيف بحدّةِ الصراط؟!

---

[٥٤] صحيح مسلم الجزء الأول كتاب الإيمان، المستدرك على الصحيحين للإمام النيسابوري المجلد الرابع كتاب الأهوال، فتح الباري للعسقلاني المجلد الحادي عشر كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار.
[٥٥] السيوطي في كتابه البدور السافرة في أمور الآخرة
[٥٦] معناه " يا مخلوقات وعباد الله"

فكيف بك إذا وَضَعْتَ عليه إحدى رجليك فأحسَسْتَ بحدّتهِ، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائقُ بين يديك يزِلّون ويَعثِرون، وتَتناولهم زبانيةُ النار بالخطاطيفِ والكلاليب، وأنت إليهم كيف يُنكّسون فتَسفُل إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم فيَا لهُ من منظرٍ ما أفظعه، ومُرتقى ما أصعبه، ومَجاز ما أضيَقه.

رحمة الله للعباد

قال الحسن: يقول[٥٧] اللّه تعالى يوم القيامة: «جوزوا الصراط بعفوي، وادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم» .

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[٥٨]: «إن اللّه تعالى خَلَقَ يوم خَلَقِ السموات والأرض مائة رحمة كلّ رحمة منها طِباق ما بين السماء والأرض، فجعل في الأرضِ منها رحمة واحدة. فيها تعطفُ الوالدة على ولدها، والطير والوحوش بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكمَلها بهذه الرحمة »

وفي بعض الطُّرُقِ لأبي هريرة يقول:«فإذا كان يوم القيامة ردّ هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين فأكمَلها مائة رحمة فرحمَ بها عبادَه يوم القيامة »

عن أنس عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال[٥٩]: يقول اللّه تعالى: أخرِجوا مِنَ النارِ من ذكرَني يوماً أو خافني في مَقام»

وثبت من طُرُقٍ صِحاح أن النبيّ (بما معناه) قال[٦٠]:"يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيوضعُ عليه كَنفه فيُقال له: تذكُرُ يومَ كذا وكذا حينَ فعلتَ كذا وكذا. فلا يزال يقرّه حتى يرى أنه هَلك. ثم يُقال له: سُتِرَت عليكَ في الدنيا وغُفِرَت لك اليوم".

وعن أبي ذرّ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[٦١]:" إني لأعلم ءاخر أهل الجنة دخولا وءاخر أهل النار خروجًا من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيُقال اعرضوا عليه صِغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها".

---

[٥٧] وكلام الله ليس صوتاً ولا حرفاً، ليس له بداية ولا نهاية، وكلامه ليس ككلامنا.

[٥٨] الجامع الصغير للسيوطي المجلد الأول، صحيح البخاري الجزء الرابع، صحيح مسلم الجزء الرابع، سنن الترمذي الجزء الثاني.

[٥٩] الترمذي في سننه وقال حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك المجلد الأول، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء

[٦٠] صحيح البخاري الجزء الرابع كتاب الأدب وكتاب التوحيد، والعسقلاني في فتح الباري المجلد العاشر.

[٦١] النووي في شرح صحيح مسلم الجزء الثالث، و ورد في صحيح مسلم الجزء الأول كتاب الإيمان وقال مانصه: " فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها. فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه"

ذبحُ الموت

عن ابن عمر بن الخطاب قال[٦٢]: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيءَ بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» .

روى مسلم[٦٣] «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يُجاءُ يوم القيامةِ بالموتِ كأنه كبشٌ أملح، فيُوقَف بين الجنة والنار، فيُقال يا أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيشرَئِبُّون وينظرون، فيقولون: نعم! هذا الموت، قال ثم يقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيشرئِبون وينظرون، فيقولون: نعم! هذا الموت، قال فيُؤمر به فيُذبح، قال ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها، ثم قرأ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وأشار بيَدِهِ إلى الدنيا» .

وأخرَجَهُ أبو عيسى الترمذي[٦٤]، عن أبي سعيد الخدري يرفعُهُ قال: إذا كان يومُ القيامةِ أتِيَ بالموت كالكبش الأملح فيُوقف بين الجنة والنار فيُذبح وهم ينظرون، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار.

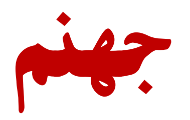
إلا أنّ لا موت في الجنة ولا موت في جهنم أجارنا اللّه منها.

---

[٦٢] صحيح البخاري الجزء الرابع كتاب الرقاق، وأحمد في مسنده المجلد الثاني، والعسقلاني في فتح الباري المجلد الحادي عشر.

[٦٣] صحيح مسلم الجزء الرابع كتاب الجنة، و صحيح البخاري الجزء الثالث كتاب التفسير، والترمذي في سننه المجلد الرابع أبواب تفسير القرءان

[٦٤] الترمذي في سننه المجلد الرابع أبواب تفسير القرءان



عن ابن المبارك قال[٦٥] : «أخبرنا عمران بن زيد الثعلبي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوهِهِم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيلُ الدماء فتقرحُ العيون، فلو أن سُفناً أجريَت فيها لجَـرت»

عن أبي هريرة قال سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول[٦٦] : إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلتُ فيكَ حتى استُشهِدتُ.
قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلّم العِلمَ وعلّمَه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فرفعها

قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلّمته وقرأتُ فيكَ القرآن.
قال: كذبتَ ولكنك تعلّمتَ ليُقال عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمِر به فسُحِبَ على وجهِهِ حتى ألقيَ في النار، و رجلٌ وسَّع اللّه عليه وأعطاه من أصنافِ المال كلّها فأتى به فعرّفه نعمَه فعرَفها.
قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ سبيلاً تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ ولكنكَ فعلتَ ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمِر بهِ فسُحبَ على وجههِ حتى ألقيَ في النار»

---

[٦٥] القرطبي في الجامع لأحكام القرءان الجزء ٨، السيوطي في الدر المنثور المجلد الرابع و البدور السافرة

[٦٦] صحيح مسلم الجزء الثالث، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، والحاكم في المستدرك المجلد الأول والثاني، مسند أحمد المجلد الثاني، شرح النووي لصحيح مسلم المجلد الثالث عشر وقال مانصه: وإدخالهم النَّارِ دليل على تغليظ تحريم الرِّياء، وشدَّة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال اللَّهُ: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

تخيل رحمك اللّه أهل النار تلقاهم جهنم يوم القيامة بِشَــرَرٍ كالنجوم فيُوَلّون هاربين، فيُقال: رُدوهم عليها فيردونهم فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي مانِعٍ يمنعُكم. ويلقاهم وهجُها قبل أن يدخلوها عُميًا مغلولينَ أيديهم وأرجُلهُم ورقابهُم. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[٦٧]: «خزنة جهنم ما بين مَنكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب»

ولهم مَقامِع [٦٨] من حديد يَقمعون بها هؤلاء، فإذا قيل للزبانية "خُذوه" فيأخذونه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صارت تحت أيديهم رفاتاً، العظام واللحم تصير رفاتاً. فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال فيُلقون في النار مصفودين فليس لهم شيء يتّقون به إلا الوجوه فهم عُميٌّ قد ذهَبت أبصارهم، قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ، فإذا ألقوا فيها يكادوا يبلغون قعرها يلقاهم لهبها فيردّهم إلى أعلاها، حتى إذا كادوا يخرجون تلقّتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها، فجاء أمر غَلَب اللهب فهَوَوا كما أسفل السافلين هكذا دأبهم .قال تعالى ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أعاذنا اللّه منها بمنّه وكرمه. والأنكال: القيود.
عن الحسن ومجاهد واحدها نكل، وسُمّيَت القيود أنكالاً لأنه يُنكّل بها أي يُمنع. قال الهروي والأصفاد: هي الأغلال. ويقال: القيود.

ويجاءُ برجلٍ فيطرح في النار فيُطحنُ فيها كطحنِ الحمار برحَاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان! ألست كنت تأمر المعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله.

---

[٦٧] الجامع لأحكام القرءان للإمام القرطبي الجزء ١٨ تفسير سورة التحريم

[٦٨] قال القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان الجزء ١٢ مانصه: وقيل: المقامع المطارق، وهي المرازب أيضا. وفي الحديث: (بيد كل ملك من خزنة جهنم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين ألفا). وقيل: المقامع سياط من نار، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب، أي تذلّه.ا.هـ.

«روى أبو أمامة قال: قال[٦٩] رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يَجرُّون قصَبهم في نار جهنم، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا» .
وقوله: تندلق، أي: تخرج، والاندلاق، الخروج بسرعة، يقال: اندلق السيف، خرج من غمده. و ُرويَ "فتنفلق"، بدل فتندلق. والأقتاب: الأمعاء، واحدها: قتب، بكسر القاف.

وما في النارِ بيتٌ ولا سلسلة ولا مَقمع ولا تابوت إلا وعليهِ اسم صاحبه[٧٠]، فكلّ واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته، فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة: قط قط، أي حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنم على ما من فيها وتنطبق، إذ لم يبق أحد ينتظر، فعُبِّرَ عن ذلك الجمعُ المنتظرُ بالرِجل والقدم في حديث "يضع الجبار قدمه"، لا لأن اللّه جسم من الأجسام، تعالى اللّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً.
والعرب تعبِّرُ عن الجماعة والجراد بالرجل، فتقول جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس، أي جماعة منهم والجمع: أرجل.

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال[٧١]: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر اللّه بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس شره في الدنيا، فيوثقون بالحديد، ثم أمر بهم إلى النار، ثم أوصدها عليهم، أي أطبقها، فلا واللّه لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً، لا واللّه ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً، ولا واللّه لا تلتقي جفونهم على غمض نوم، ولا واللّه لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً.

---

[٦٩] الجامع لأحكام القرءان الجزء ١ تفسير سورة البقرة
[٧٠] ذكره السيوطي في كتابه البدور السافرة والقرطبي في كتابه التذكرة وكتابه الجامع لأحكام القرءان الجزء ١٧ في تفسيره لسورة ق
[٧١] التخويف من النار لإبن رجب الحنبلي

تخيّل رحمك اللّه هذا المشهد، إن في النار أقواماً يُربطون بنواعيرَ من نار تدورُ بهم تلك النواعير، ما لهم فيها مِن راحة ولا فترة. وإنّ لمالكٍ مَجلساً في وسطِ جهنم وجسوراً تمرُّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها.

وإن لجهنم ساحلاً كساحل البحر فيه هوام وحيّات كالبُخت، وعقارب كالبغال الدُهم، فإذا استغاث أهل النار قالوا: الساحل! فإذا ألقوا فيه سُلِّطَت عليهم تلك الهَوام فتأخذ شِفار أعينهم وشفاههم وما شاء اللّه منهم، تكشطها كشطاً، فيقولون: النار، النار! فإذا ألقوا فيها سلّط اللّه عليهم الجَرَب فيَحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه، وإن جِلدَ أحدهِم لأربعون ذراعاً، ويقال: يا فلان، هل تجد هذا يؤذيك؟ فيقول: وأي شيء أشدّ من هذا؟ فيقال: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين.

ورد أن أهل النار يستغيثون بالخَزَنة في جهنم، قال اللّه تعالى: { وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ } ، فسألوا يوماً واحداً يخفّفُ عنهم فيه العذاب فردّت عليهم الخزنة: { أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ}؟

فيقولون: بلى، فردت عليهم الخزنة: { فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ }

قال: فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكاً ـ وهو عليهم. وله مجلسٌ في وسطِها وجسور تمُرُّ عليهم ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. فقالوا: { يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ }، قال: اسألوا الموت، فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة.

قال: والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهرُ ثلاثون يوماً، واليوم { كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }. ثم لحظ [٧٢] إليهم بعد الثمانين فقال: { إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ }

[٧٢] أي نظر

فتوهَّم رحمك الله أن توضع الأغلال في عنقك أو تُغل يدك إلى عنقك ولو أن غلاً منها وُضِعَ على الجبال لقصَمَها إلى الماءِ الأسود. فتُشَدُّ الأيدي بالأغلال في النار ويستقبلون العذاب بوجوهِهِم وقد شُدَّت أيديهم، فلا يقدرون على أن يتّقوا بها وهجَ النار ولهيبها. ويُسحبون بالسلاسل إلى نار جهنم، وما أدراك ما السلاسل! تدخل السلسلة في مُؤخِرة أحدهم ثم تخرج من فمِهِ ويُنظمون فيها كما تُنظمُ الدجاجةُ للشواء. تُجمعُ ناصيةُ أحدهِم وقدميه فتربط ناصيته بقدمه وظهره وتفتل. ومن ثم ترى أهل جهنم يُضربون بالمقامع وإذا أحسَّ أهل النار بضربِ المقامع انغمسوا في حياضِ الحميم فيذهبون سفالاً كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا.

وتخيّل رحمك الله طعام أهل النار، الزقوم والضريع والغِسلين والغَسّاق والحميم و الصَديد. فوالله لو أن قطرةً من الزقوم قطرَت في دار الدنيا لأفسَدت على أهل الدنيا مَعايشَهم فكيفَ بمَن تكونُ طعامه ؟!

وتخيّل إذا جاعَ أهلُ النار، استغاثوا من الجوع وهم يبكون الدم، فأغيثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها، فانسَلخَت وجوهَهم، حتى لو أن مارًا مَرَّ عليهم، يعرفهم لعِرَفِ جلودِ وجوههم، فإذا أكلوا منها ألقيَ عليهم العطش فاستغاثوا من العطش، فأغيثوا بماءٍ كالمهل، والمهل الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم، أنضجَ حرّه الوجوه، فيَصهَرُ بهم ما في بطونهم، ويُضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يُدعون بالثبور والهلاك.

تخيّل رحمك الله الغساق، عين في جهنم يسيل إليها السم من الحية والعقرب وغير ذلك، فيؤتى بالآدميّ، فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في عَقِبيه وكعبيه، ويجُرُّ لحمه كما يجر الرجل ثوبه. تالله لو أن دلوًا من الغساق يهرق في الدنيا، لأنتن أهل الدنيا.

إن كان هذا طعامهم، فما هو لباسهم حينها وقد حذيَت لهم نعال من نار، ولحفٌ من نار، ومساكن من نار، في شرّ دار، وأسوأ عذاب في الأجساد أكلاً أكلاً، وصهرًا صهرًا، و حطمًا حطمًا. فهم في النار لا يهدؤون ولا ينامون ولا يموتون، يمشون على النار، ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكون من زقوم النار، فرشهم ولحفهم النار، وقمصانهم نار وقطران، تغشى وجوههم النار، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزَنَة أطرافها، يُجذبون مقبلين ومدبرين، فيسيل صديدهم إلى حُفرٍ في النار، فذلك شرابهم.

وما أحسن قول الفرزدق حين أنشأ يقول:

أخافُ من وراءِ القبرِ إن لم يُعافني

أشدّ من القبر التهابًا و أضيَقا

إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ

عنيفٌ وَسوَّاقٌ يَسوقُ الفرَزدقا

لقد خابَ من أولاد ءادم مَن مَشى

إلى النارِ مَغلول القِلادةِ أزرقا

يُساق إلى نارِ الجحيمِ مُسربلاً

سَرابيل قطرانٍ لِباسًا مُحرّقًا

إذا شربوا من الصديدِ رأيتهم

يَذوبون مِن حرّ الصديد تمزّقًا

أجارنا اللهّ من نار جهنم..

ءاخر مَن يخرُجُ مِن جهنم و يدخل الجنة

ءاخرُ مَن يدخل الجنة رجلٌ، يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفَعُه النار مرّة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجّاني منك، لقد أعطاني اللّه شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة

فيقول: ربِّ أدنني من هذه الشجرة لأستظلّ بظلّها وأشرب من مائها،

فيُقال له بما معناه: يا ابن ءادم لَعلّي إن أعطيتكها سألتَني غيرها

فيقول: لا! ويعاهد أن لا يسأل غيرها، و ربّه يعذره لأنه يرى ما لا صَبرَ له عليه، فيُدنى منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها.
ثم تُرفعُ له شجرة هي أحسنُ من الأولى، فيقول: ربِّ أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظِلّها، لا أسألك غيرها،

فيُقال له: يا ابن ءادم: لعل إن أدنيتَ منها تسأل غيرها؟

فيعاهد أن لا يسأل غيرها، و ربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها،

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من الأولتين، فيقول مثله.
فيُدنى منها، فإذا أدناها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: رب أدخلينها.
فيُقال له: يا ابن ءادم ما يصيّرني منك؟ أيُرضيكَ أن تُعطى الدنيا ومثلها معها؟

فيقول الرجل: أتستهزئ بي

فيُقال له: إني لا أستهزئ منك ولكن ربّك على ما يشاءُ قادر

وقوله: أتستهزئ مني؟ ـ وفي رواية: أتسخر؟ ـ والهزوء، والسخرية بمعنى واحد، وفيه تأويلان.
أحدهما: أنه صدر منه هذا القول عند غلبة وشِدّة الفرح واستخفافه إياه.

كما غلط الذي قال: [اللهم أنت عبدي وأنا ربك][٧٣].

الثاني: أن يكون معناه: أجازيني على ما كان مني في الدنيا من قِلة احتفالي بأعمالي، وعدم مُبالاتي بها؟ فيكون هذا على وجهِ المقابلة، كما قال اللهّ تعالى مُخبِراً عن المنافقين ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أي ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم، والاستهزاء في اللغة: الانتقام.

---

[٧٣] وقال:" من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما وكذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح" صحيح مسلم الجزء الرابع كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها.

الجنة

عن أبي هريرة قال[٧٤]: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول اللّه تعالى عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾

أفلا من مُشمِّر للجنة؟

الجنة لا خَطر لها، هي و ربِّ الكعبة[٧٥] نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبديّ في جدة ونضرة، في دار عالية سليمة بهية.

فتخيَّل رحمك اللّه هذا المشهد: سيدنا وحبيبنا محمد صلى اللّه عليه وسلم يُقعقِع حلقة باب الجنة فيُفتح له وتدخل أمّةُ محمد إلى الجنة. فأوّلُ ما تدخل أنت يتلقّاكَ سبعون ألف خادمٍ وجوهُهُم كاللؤلو. فيأخذك أحدُ الملائكةِ في سِككِها ويُريكَ مُلكَك فيها، فكيفَ سيكون قلبك حينها؟ وما هو قدرُ سعادتك وهنائك؟

وتخيّل لما مشيتَ فيها وأحسستَ بأرضها لقيتَ مِلاطها المسك الأذفر وحجارتها الصغيرة (الحصب) هي اللؤلؤ والياقوت، وتربتُها الزعفران. فواللّه لو أن أقلّ من ظِفرٍ من الجنة بَرَزَ إلى الدنيا لتزخرف لهُ ما بين السماء والأرض.

وبينما أنت تمشي في الجنة دخلتَ سوقها، حيث أهل الجنة يأتونهُ كل جمعة فتهبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالاً فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالا فيقولُ لهم أهلوهم :واللّه لقد ازددتم بعدنا حُسنا وجمالا، فيقولون :وأنتم ازددتم بعدنا حسنا وجمالا.

---

[٧٤] صحيح البخاري الجزء الثاني والثالث والرابع، الجامع الصغير للسيوطي المجلد الرابع

[٧٥] المراد هنا بـ "رب الكعبة" هو القسم.

-السوق هنا ليس محل البيع و الشراء بل المراد به مُجتمع من مُجتمعات أهل الجنة يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في أسواقها اي يعرض فيها الاشياء فيأخذ كل واحد ما يشاء –

تخيل رحمك اللّه أما رأيتَ الساعة التي تكونُ قبل طلوعِ الشمسِ ؟

فذلكَ يكونُ نورُ الجنة ، إلا أنّه ليسَ فيها شمسٌ ولا زمهرير.

إن في الجنة أنهارًا كثيرة تجري على وجهِ أرض الجنة في غيرِ أخدود، أي ليس هناك شقوق في أرضها بل يجري على وجهها، فلا تتكلف تعبًا بالتناول منها، وأهل الجنة يشربون منها تلذذاً لا عن عطش، وأنهار الخمرِ في الجنة لذّةٌ للشاربين، فهي ليست كخمر الدنيا، إذ ان خمر الجنة لذيذ المذاق، طعمه طيّب، زيادة ان خمر الجنة لا يُسكِر ولا يؤدّي بمن يشربه الى الصداع والأذى، ولا تذهب عقولهم بشربها.

أما الكوثر، وما أدراك ما الكوثر، هو نهر يجري على وجه الأرض ، حافّتاه قباب اللؤلؤ ، ليس مشقوقًا ، فإذا ضربت يدك إلى تربته ، فإذا مسكة ذفرة ، وإذا حصباؤه اللؤلؤ .

إذا أدخلك اللّه الجنة يحملك فيها فرسٌ من ياقوتة حمراء يطيرُ بك في الجنة حيث شِئت. إنْ يُدخِلك اللّه الجنة ، يَكُن لكَ فيها ما اشتهَت نفسُك ولذّت عينك.

وأهل الجنة يأكلون آمنين من حدوثِ المرض، اذ لا مَرَضَ في الجنة ولا وَجع.
ولا يقتصِرُ طعامهم على الثِمار بل يتعدّاه الى الطير وغيره، فقد ورد عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) انه قال :"إنك تنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيَخِرّ بين يديك مشويًا" وجاء في بعض الأحاديث [٧٦] أنه إذا فرغ[٧٧] منه عاد طائراً كما كان بإذن اللّه تعالى.

[٧٦] تفسير ابن كثير، سورة الرعد

[٧٧] أي انتهى منه

وقد قال اللّه تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾، وقال: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾، وكذلك ظِلها لا يزول ولا يقلص.

و لهم أكواب تجمع بين صفاء القوارير وبياض الفضة فتبدو للناظرين زاهية المنظر، ولهم عينٌ تسمى سلسبيلاً لسلاسة مائِها وعذوبته، وكل هذا الطعام والشراب لا يبقى في بطون اهل الجنة بل كما قال[٧٨] الرسول عليه الصلاة والسلام : "حاجَتهم عرقٌ يفيضُ من جلودِهم مثل المسكِ فإذا البطن قد ضمر"

فلا يتغوَّطون ولا يَبولون، إذ لا قذر في الجنة، بل طعامهم وشرابهم في بطونهم يتحوّل الى عرق يرشحُ من جلودهم له رائحةُ المسك لا تؤذي ولا تُزعِج، بل هي رائحة جميلة .

وَعَدَ اللّه عز وجل عباده المتقين أن يدخلهم جنات النعيم، ويكون المؤمن مع زوجاته المسلمات اللاتي كُنّ على عِصمته .وقد يتساءل البعض :كيف يكون حالُ من كان عازبًا في الدنيا ؟ فالجواب :يقول[٧٩] رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) "ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مُخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب "رواه مسلم. ولو نظرت الى وجه الواحدة منهن وهي في خِدرها لوجدتها أصفى من المرءاة ثوباً، وقيل ان سبب تسميتهن بذلك ان الواحدة منهن سوداء الحدقة، عظيمة العين،

الحور العين، خُلِقنَ من مسك وكافورٍ وزعفران[٨٠]، لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بَصَقت في سبعة أبُحرٍ لكانت تلكَ الأبُحُر كلّها أحلى من العسل[٨١]، ولو أن يدًا من الحوراء دُلِيَت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس

---

[٧٨] رواه الطبراني في المعجم الكبير والإمام أحمد في مسنده المجلد الرابع أول مسند الكوفيين

[٧٩] الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي المجلد الأول، صحيح البخاري الجزء الثاني كتاب بدء الخلق

[٨٠] اخرجه الطبراني في معجمه عن ابن المبارك عن زيد بن أسلم

[٨١] أخرج مثله ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن أنس رضي الله عنه.

لأهل الدنيا. ولهُنّ مُجتَمَعات يرفعْنَ بأصواتٍ لم يسمعِ الخلائق مِثلها، يَقُلنَ: نحْنُ الخالداتُ فلا نبيد، ونحن الناعِماتُ فلا نبأس، ونحن الراضياتُ فلا نسخط، وطوبى لمن كان لنا وكنّا له[٨٢]. ينظر الشخص إلى وجهِه في خدّها أصفى من المرآة، ولان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوبًا فينفذها بصره، حتى يرى ساقها من وراء ذلك[٨٣].

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[٨٤] :" لما أسريَ بي، دخلتُ الجنة موضِعًا يُسمى البليغ عليه خِيام اللؤلؤ، والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقُلنَ: السلام عليك يا رسول اللّه، قلت: يا جبريل، ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، استأذنَّ ربّهُنّ في السلام عليك فأذِن لهُنّ، فطفِقْنَ يَقُلنَ: نحْنُ الراضِياتُ فلا نسخطُ ابدًا، نحن الخالداتُ فلا نظعنُ أبدًا."

ان أهل الجنة في شغل يتنعّمون، يُقدِسُون اللّه تعالى ويُثنون عليه الثناء الحسن ويسبّحُونه ويحمّدُونه، وذِكرُهم للّهِ تعالى يومَذاك لايكون على وجهِ التكليفِ، لأن الجنة دار جزاء وليست دار تكليف، بل يذكرونه للتلذّذ. ويكون ذلك بلا تعبٍ فيهِ كما لا تعبَ في تنفّسِهم، وقيل :وجهُ التشبيهِ هنا أن الانسان فيها لا يتكلف التنفس اذ لا بُدَ منه، فجُعِل تنفسهم تسبيحًا وسببه أن قلوبهم تنوّرت بمعرفةِ الربّ وامتلأت بحبِهِ، ومن أحبَّ شيئًا أكثرَ مِن ذِكرِه.

وأهل الجنة عددهم لا يعلمه الا اللّه تعالى، ورَدت عِدّة أحاديث تبيِّنُ زيادَة أمّة محمد (صلى اللّه عليه وسلم) بالعدد في الجنة على غيرهم من سائر الأمم، لأن أمّتهُ عليه السلام ءاخرُ الأمَم وأكبرها وخيرُها، ويوضح لنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) هذا الأمر فيقول "أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم " رواه الترمذي في سُننه.

---

[٨٢] أخرجه هناد والترمذي في سننه وابن أبي شيبة والمروزي في زيادات الزهد لابن المبارك ٥٢٣ وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند

[٨٣] أخرجه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن حبان والبيهقي من طريق دراج، عن ابي هيثم، عن ابي سعيد _به. ورواية دراج عن ابي الهيثم ضعيفة

[٨٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في الإحسان و البغوي في شرح السنة عن أنس رضي الله عنه.

ذكر ما يُنجيك من جهنم ويدخلك الجنة

يمكن اختصار ما يُدخلك الجنة وينجيك من جهنم بأربعة عناوين، وهي:

العقيدة الصحيحة

أداء الواجبات

اجتناب المحرّمات

المحافظة على الدين

أما العقيدة الصحيحة، فيجب على كل شخص أن يعتقد أنه لا ربّ إلا اللّه، و أن اللّه هو خالق كل شيء، القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، مستغن عن كل شيء. وأنه سبحانه وتعالى موصوف بكل كمال يليق به، منزّه عن كل نقص في حقّه. و أن اللّه سبحانه وتعالى لا يشبه المخلوقات بأي وجه من الوجوه، هو خالق المكان والزمان والأجسام والسماء والأرض. فلا يحتاج إلى المكان كالعرش والسماء ولا يمرّ عليه زمان واللّه ليس جسمًا، لأن الجسم مخلوق. واللّه سبحانه وتعالى كان موجودًا قبل المكان والزمان والأجسام والمخلوقات، فكما كان موجودًا قبل العرش والسماء والمكان بلا عرش وبلا سماء وبلا مكان، فهو دائمًا وأبدًا موجودٌ مستغنٍ عنها لا يحتاج إليها. ويجب اعتقاد أن اللّه أرسل رسلا وأنبياءً ليبلّغوا الناس، و أن جميع أنبيائه جاءوا بدينٍ واحد وهو الإسلام، فلم يأتِ موسى وعيسى وداوود وابراهيم بدينٍ غير دين الإسلام. ويجب اعتقاد أن جميع أنبياء اللّه معصومون عن الخطأ في الدين، فالأنبياء لا يكذبون ولا يسرقون ولا يعصون اللّه ما أمرهم.

ويجب على المسلم أداء جميع ما فرضه اللّه عليه من صلاة وصيام وزكاة وحج على المستطيع وغير ذلك. ويجبُ اجتناب كل المحرّمات من كذب وسرقة و نميمة وغيبة وما إلى ذلك من المحرّمات.

أما المحافظة على الدين، فتكون بأن يصون نفسه ودينه من أن يقع فيما يخرجه من الإسلام وهو ما يقال له "الردّة"، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الردة القولية، وهو كأن يسب اللّه أو رسوله أو ملائكته أو أن يستهزىء بشعيرة من شعائر اللّه.

الردة الفعلية، وهي كأن يسجد لصنم أو أن يرمي المصحف في القاذورات.

الردة الإعتقادية، وهي كأن يعتقد أن اللّه جسمٌ في السماء أو أن يعتقد أن اللّه جالسٌ على العرش، أو يعتقد أن اللّه يتحرّك، أو يعتقد أن اللّه نورٌ يتلألأ.

إحذر يا عبد من الردة**إن لها أقسامًا عِدّة

فِعلٌ كسجود للقمر**وكَرمي المصحف في القذر

وقولٌ كمسبّة ربي**أو كمسبّة مَلَك أو نبي

يرتدُّ كذا من يعتقد**أن الرحمن له ولد

فالكافر فورًا يتشهّد**كي يرجع إلى دين محمد

وليحفظ قلبه ولسانه**وجوارحه ممّا شانه

فمَن صَدَرت مِنه ردّة يجب عليه فورًا أن ينطق بالشهادتين للدخول مجددًا في الإسلام وهما:

أشهد أن لا إله إلا اللّه و أشهد أن محمدًا رسول اللّه.

فمَن ماتَ على الردّة يستحقُ الخلودَ في نار جهنم أجارنا اللّه منها ولا يدخل الجنة أبدًا.

الخاتمة

نسأل اللّه العظيم، رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يُلحِقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عبادِه المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبتُه خالِصًا لوجهِه الكريم، بمنِّه وكرمِه، وأن ينفعنا به ووالدينا،

غفر اللّه لصاحب هذا الكتاب، ولوالديه ولسائر المسلمين أجمعين، آمين يا رب العالمين.

تمَّ الكتابُ وربنا محمودُ

وله المكارمُ والعُلا والجودُ

وعلى النبي محمدٍ صلواته

ما ناحَ قمرٌ وأورَقَ عودُ

وافق الفراغ من نسخه، في الثامن من رجب، من شهور عام ١٤٣٧ هجري الموافق لـ الخامس عشر من شهر نيسان من شهور عام ٢٠١٦ رومي.

على يد أقل عباد اللّه وأحوجهم إلى لطفه الخفي،

طه محمد الخير

غفر اللّه له ولوالديه، ولمن قرأ فيه، ودعا بالتوبة النصوح، والمغفرة والرحمة يا رب العالمين، ولسائر المسلمين أجمعين، وصلى اللّه على سيدنا محمد، و آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

تم الكتابُ بعونِ الله

المراجع والمصادر

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- مسند الإمام أحمد
- سنن الترمذي
- سنن أبي داوود
- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي
- زيادة الجامع الصغير للسيوطي
- الدرر المنتثرة للسيوطي
- سنن ابن ماجه
- سنن النسائي
- المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد اللّه الحاكم النيسابوري
- معجم الطبراني الكبير
- مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي
- رياض الصالحين للإمام النووي
- لسان العرب لابن المنظور
- المعجم الوسيط
- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي
- الجامع لأحكام القرءان للإمام القرطبي
- كتاب التذكرة للقرطبي
- الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي
- البداية والنهاية للإمام اسماعيل بن كثير الدمشقي
- صفة الجنة لابن أبي الدنيا
- التخويف من النار لابن رجب الحنبلي
- البدور السافرة في أمور الآخرة للإمام السيوطي
- صفة النار لابن أبي الدنيا
- صفة الجنة للإمام اسماعيل بن كثير الدمشقي
- صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني
- شرح الصدور للسيوطي
- أشراط الساعة وأمور الآخرة لابن كثير الدمشقي
- شرح السنة للبغوي
- مسند البزّار
- الصحاح في اللغة

الفهرس